مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٢، العدد ٣، خريف ١٤٣٨ هـ
صفحة ٤٧٥- ٥٠٠

Print ISSN: 1735 – 9767
Online ISSN:6187-2423
jal-lq.ut.ac.ir

# أسلوبية بوزيمان الإحصائية ومدى إمكانية تطبيقها على صحة نسبة الخطبة الشقشقية إلى الإمام علي عليه السلام

**علي حاجي خاني [١*]، أمير فرهنگ نيا [٢]**

١. أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث بجامعة تربيت مدرس
٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٩/١١ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/١٢/١٤)

## الملخّص

إن من أهم الشبهات المذهبية الواردة على نهج البلاغة، هي شبهة التعريض بالصحابة، كما أن هذا التعريض هي من أسرار الشكوك؛ ومن بواعث كتابة هذا المقال، هي الدراسة الأسلوبية للخطبة الشقشقية. إنّ الرواية ونقل كلام الشخصيات الكبيرة كانت تعدّ أسلوباً قائماً بذاته له قواعده ومعاييره الخاصة به، تكمن أهمية معرفة الأسلوبية الغربية في أنها يمكن أن تستخدم في المجالات الأدبية ونصوص الأحاديث الشريفة والخطب المشككة فيها في نهج البلاغة ولاسيما الخطبة الشقشقية للتدقيق في الشبهات والخلافات التي تكثر حولها.

إن منجزات المنظرين الغربيين التي ظهرت من خلال المدارس الأسلوبية المختلفة جديرة بالاهتمام من هذه الناحية؛ وإن نظرية بوزيمان الإحصائية هي إحدى النظريات المتعلقة بالأسلوبية الحديثة، وإن البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها كما أنها تهتم بتتبع السمات الأسلوبية ومعدل تواترها وتكرارها في النص. لذا فإن المقال يهدف إلى تقديم رؤى واضحة عن هذه النظرية في المرحلة الأولى ومدى امكانية تطبيقها على الخطبة الشقشقية وذلك باستخدام أسلوبية بوزيمان الإحصائية، مستشهداً بالجداول الإحصائية إثباتاً وتأكيداً لصحة نسبتها إلى الإمام علي عليه السلام وذلك وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي.

## الكلمات الرئيسة

أسلوبية بوزيمان الإحصائية، الخطبة الشقشقية، نهج البلاغة.

---

* الكاتب المسؤول
Email: ali.hajikhani@modares.ac.ir

**مقدمة**

لاشك في أن الإمام علياً عليه السلام من بناة البيان العربي من خلال قدراته البيانية الخارقة التي كانت مصدر إلهام لكثيرين من الأدباء والعلماء عبرالتاريخ، فصفحات التاريخ مليئة باعتراف كبار الموهوبين من الأدباء وأهل العلم سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم بتأثرهم بالإمام عليه السلام في أساليبهم البيانية. فقد تضمن كلامه بالإضافة إلى أسلوبه الرشيق وبيانه الرفيع مضامين ساميةتكون مناهل يرتوي منها طلاب العلم والأدب، وعشاق الحقيقة عبر العصور. فإن هذا الكتاب مليء بالمعلومات النافعة والمجدية عن المبدأ والمعاد وما بينهما وهو كتاب شامل لأصول الدين وفروعه، وفيه ما يكفي المهتدي والسائر في سبيل الرشاد وما يتعظ به المتلقي من نصائح وخطابات تعليمية ومواعظ حسنة تفيد له بالخير والبركات ويساعده في إسعاد نفسه أو إهلاكه، لما يسير به في عوالم مختلفة من دار البوار إلى دار القرار وعالم القبر والبرزخ ومجالات متنوعة أخرى وذلك من خلال خطبه ورسائله وكلماته القصار، "فإذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، هو ذلك التجسيد الحي، والنموذج الالفذّ للانسان الكامل في إنسانيته، الذي أراد الله له أن يكون منار السالكين، ومدرسة الأجيال، وقدوة الأمم... فإن نهج البلاغة هو الكتاب الغني عن التعريف والتوصيف، بعد أن كان دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق... ولقد كان وسيبقى على مرّ العصور نوراً تشرق به دروب العارفين وبصيرة وهدى للمستبصرين" (المشكيني، ١٩٨٤م: ٥).

«فنهج البلاغة كتاب إنساني بكل ما لهذ الكلمة من مدلول، إنساني باحترامه للإنسان والحياة الإنسانية، وإنساني بما فيه من الاعتراف للإنسان بحقوقه في عصر كان الفرد الإنساني فيه عند الحاكمين هباءة حقيرة لا قيمة لها ولا قدر، إنساني بما يثيره في الإنسان من حب الحياة والعمل لها في حدود تضمن لها سموها ونقاءها، لهذا ولغيره كان نهج البلاغة، وسيبقى على الدهر أثراً من جملة ما يحويه التراث الإنساني من الآثار القليلة التي تعشو إليها البصائر حين تكتنفها الظلمات وحق له أن يكون كذلك وهو عطاء كان كوناً من البطولات ودنياً من الفضائل ومثلاً أعلى في كل ما يشرف الإنسان» (شمس الدين، ١٩٨١م: ١٤). وكتاب النهج جدير بأن يكون من أجلّ المصادر وأعلاها وأوثقها، ولا يحتاج بعد إلى مصدر أو مرجع يوثّقه، شأنه في ذلك شأن سائر ما يرويه المحدثون الثقات، فيؤخذ

بمروياتهم من دون تشكيك، ولا مطالبة بمصدر، على أنه جاء جلّه مروياً بالأسانيد في مصادر أخر سابقة أو معاصرة لجامع النص (الشريفي، ٢٠٠٥م: ١٥٠).

ولنهج البلاغة في عالم العلم والأدب موقع مرموق وهو سبب شدة اعتناء الأدباء والمستشرقين بهذا الأثر النفيس الذي جمع فأوعى من ضروب البلاغة وأساليب الفصاحة ومحاسن الكلام المصاغ أحسن صياغة، وكيف لا يكون هذا الكتاب خاصا لأشتات المحاسن، وقد اختاره السيد الشريف الرضي وهو المعروف بحسن الاختيار والابتكار من كلام أمير المؤمنين أحكم الحكماء وأبلغ البلغاء، أما كون نهج البلاغة مطابقاً لاسمه فقد أصبح غنياً عن الاستدلال؛ لأنه قد أقرّ المخالف والمؤالف بأنه أبلغ كلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، أما مناهجه وأساليبه فهي من أعجب ما نسخ عليها كاتب فمن وصف الله وتمجيده إلى وصف أهل البيت عليهم السلام إلى وصف حالة مع مناظريه إلى ذكر الزهد والورع إلى...، وقلما نجد شاعراً له نظرة في الحياة أو قول في الحكمة أو شغف في لفظ رصين إلا وجدت شعره يتفيأ ظلال نهج البلاغة، لما له من الحكم التي تأخذ بجامع القلب، فهو عظيم المناقب، جمّ الفضائل، ومن أبرز ما يتميز به النهج هو وضوح الأسلوب وحسن المقصد وجزالة الكلمات والمعنى المحدد الذي لا يحتمل معنى آخر (الطعمة، ١٩٧٧م: ٧٢١). إذن يعتبر النهج من أعظم الكتب الإسلامية شأناً وأجلّها منزلة، حيث اهتم به باحثو الأدب العربي ورجال الدين في مختلف العصور.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فهناك دراسات كثيرة سبقت هذا المقال، منها الكتب والمقالات والرسائل والأطاريح الجامعية. فمن أهم الكتب التي تناولت نهج البلاغة وناقشه: بلاغة الإمام علي لأحمد محمد الحوفي، حيث تناول الباحث بيئة الإمام الخطابية والكتابية وروافد البلاغة، ثم توثيق النهج من حيث اليقين بصحته والرفض له والشك في بعضه والدعاوي والمناقشة، ثم بلاغة النهج وخصائصه النحوية من العاطفة والخيال والأفكار والتعبير.

وأصالة نهج البلاغة من منظور الدراسة الموضوعية الأسلوبية، حيث تناول المؤلف الأسلوب ومدارس الأسلوبية واتجاهاتها، ثم تطرق إلى الشريف الرضي وأسلوبه في نهج البلاغة ومن سبقوه في ثم قضية الانتحال في نهج البلاغة والردّ عليها دراسة موضوعية أسلوبية والردود على بدايات التشكيك في نهج البلاغة والتشكيك في نسبة أجزاء من نهج

البلاغة إلى الإمام علي عليه السلام عند المتأخرين والردود عليهم ثم الشبهات الشكلية والمعنوية والردود عليها دراسة موضوعية أسلوبية واستنتج أن دوافع الشريف الرضي في جمع نهج البلاغة هي من العوامل المهمة التي تجعل كل باحث يقتنع بعدم إمكانية الانتحال في نهج البلاغة وعن موضوع السجع وتنميق الكلام في النهج.

ومن أهم المقالات: في الدفاع عن نهج البلاغة والردّ على شبهات الدكتور شوقي ضيف، للباحث تورج زيني وند وهي المنشورة في مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٧، ١٤٣١هـ، حيث حاول الباحث أن يدخل في صميم آراء ضيف ليرسم تصويراً واضحاً من حقيقة نهج البلاغة وآرائه وأن الطريق الذي سلكه في ضوء المنهج الديكارتي المعروف، يمتاز بالشك والتناقض والحيرة والتشاؤم وسوء الظنّ والخصومة والعصبية بلاحجج معتمدة. واستنتج الباحث أن شبهات ضيف صدرت منه بدافع العصبية العمياء والجهل المتراكم في تعريف نهج البلاغة وردّاً على ما رآه ضيف في أن النهج إما أن يكون كله مصنوعا منحولاً، أو بعضه.

ودعوات وشبهات أثارها البعض حول نهج البلاغة، لعبدالرسول الغفاري، وهي المنشورة في مجلة تراثنا، العدد ٣-٤، ١٤٢٨هـ، حيث تناول الباحث الموضوعات المهمة في النهج وهي النبوة والأنبياء والشرائع السابقة ثم نبوة خاتم الرسول محمد مع بيان ما في القرآن الكريم من الأوامر والإرشادات والنظم التي رسمها الله سبحانه للبشر وعن دواعي كتابته للمقال، هو ردّ تلك الشبهات التي جاءت مكررة على ألسنة عدة من الكتاب، ثم كشف اللثام عن الحقائق التي انطوت عليها الخطبة الشقشقية والأدوار السياسية التي مرّ بها المسلمون بعد رحيل النبي الأعظم.

ومقالة نهج البلاغة: جمعه، مصادره، مناقشة التشكيك في نسبته إلى إمام علي، لعبدالهادي الشريفي، وهي المطبوعة في فصلية المنهاج، العدد ٣٦، ٢٠٠٥م، حيث قام الباحث بطريقة الرضي في الجمع، وهو جمع ما تفرّق من كلام الإمام من مصادره الموثوقة ودوّنه في أوراق متفرقة ليستدرك ما يشذّ عنه مستقبلاً، ثم عمد إلى اختيار محاسن كلامه، وأن جميع ما ضمّه النهج أخذ الرضي من المصادر التي سبقته زماناً، أو التي عاصرته، ولمّا كانت مهمة الرضي محصورة بالجمع مع التمحيص والتحقيق والانتفاء لضبط مادة النهج، لإبراز بلاغة الإمام وفصاحته، فإنه لم يراعِ في ما اختاره التنسيق والتتالي، أمّا قضية كثرة الخطب، فإنها كانت قياساً إلى كثرة الدواعي والأغراض، وتراكم الأحداث والظروف

السياسية والعسكرية والاجتماعية والأخلاقية قليلة، لأن جميع هذه الأمور تحتاج إلى كلام كثير هو أضعاف ما ورد في النهج من الخطب.

ومن الرسائل والأطاريح الجامعية: أطروحة توثيق نهج البلاغة في ضوء الدراسات الأسلوبية للباحث علي حاجيخاني والتي نوقشت في جامعة العلامة الطباطبائي سنة ٢٠٠٤م.

إن الدراسات السابقة التي حاولت الردّ على الشبهات المطروحة عالجت الموضوع في الغالب من وجهة معيّنة مُغفلةً بذلك بقية الجوانب. فحاولت هذه الدراسة أن تكون متعددة الاتجاهات مع التركيز على الأسلوبية أساساً للعمل. فقد ظهر أن المصادر المذكورة لم تختص بالشبهات المذهبية على نهج البلاغة، خاصة شبهة التعريض بالصحابة، من ثمّ دراسة الخطبة الشقشقية على أساس الأسلوبية الإحصائية ولم تتوسع فيها، فهذا المقال يهدف إلى تقديم رؤى واضحة عن هذه المدارس في المرحلة الأولى ومدى امكانية تطبيقها على الخطب المشككة في نهج البلاغة وفي رأسها الخطبة الشقشقية وذلك بالاستفادة من أسلوبية بوزيمان، مستشهداً بالجداول الإحصائية إثباتاً وتأكيداً لصحة نسبتها إلى الإمام علي عليه السلام ويسعى إلى الرد على السؤالين:

١. ما هي دلالة المقارنة بين الخطبة الشقشقية وغيرها على أساس أسلوبية بوزيمان الإحصائية؟
٢. ما هي القواسم المشتركة بين الخطبة (الشقشقية) والخطب المقبولة عند المشككين في نهج البلاغة؟

## أنواع الشبهات

بالمداقّة في نوعية الشبهات فيمكننا أن نقسمها إلى أربعة أقسام وهي:

أ) الشبهات التوثيقية (الإسنادية)

يمكن إجمال أهم الشبهات التوثيقية فيما يلي:عدم الإتيان بالمصادر والأسانيد، إن الشريف الرضي لم يذكر في صدر كتابه المصادر التي رجع إليها، أو الشيوخ الذين نقل عنهم (إبراهيم السيد، ١٩٨٦م: ٢٨). وخلّوالكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضي من كثير مما في نهجالبلاغة، حيث إن الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضي تخلو من كثير مما في نهجالبلاغة (زكي صفوت، ١٩٣٢م: ١٢٢)، والمشتركات في نهجالبلاغة،

وهو أن بعض ما روي عن علي عليه السلام في نهج‌البلاغة روي عن غيره في غيره، كقوله: «كان لي فيما مضى أخ عظّمه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينه». وهذا مروي عن ابن المقفع، وكقوله: «الدنيا دار مجاز...» يروى لسحبان وائل (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٤)، والإضافات في نهج‌البلاغة، وهي أن الشريف الرضي رحمه اللّه بعد فراغه من جمع نهج‌البلاغة ترك أوراقا من البياض في آخر كلّ باب من أبوابه الثلاثة لاقتناص الشارد، واستلحاق الوارد، فهل بقي نهج‌البلاغة على وضعه أم تعرض للزيادات والإضافات كما زعم بعض المشككين؟ (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١٨٦).

ب) الشبهات الشكلية (اللفظية)

يمكن إجمال أهم الشبهات الشكلية (اللفظية) فيما يلي:السجع وتنميق الكلام، وما فيه من السجع والتنميق اللفظي، وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الإمام عليه السلام ولا عرفه، وإنما ذلك طرأ على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتتن به أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٢). وبناءً على ما توصل الباحث علي حاجيخاني إليه في مقالة «دراسة ونقد في شبهة دقة الوصف وغرابة التصوير في نهجالبلاغة»، فإن في نهج‌البلاغة من دقة الوصف وغرابة التصوير مالم يكن معروفاً في آثار الصدر الأول الإسلامي كما تراه في وصف الخفاش والطاووس، والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول، ولا أدباؤه ولا شعراؤه وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٢) والألفاظ الاصطلاحية الحِكْمية والمنطقية، وهو أن في نهج‌البلاغة بعض الألفاظ الإصطلاحية التي عُرفت في علوم الحكمة من بعد كالأين والكيف ونحوهما ورود بعض الألفاظ التي دُسّت فيما نقله عن المتكلمين وأصحاب المقولات، من نحو قولهم: (المحسوسات) و(الكل والبعض) وقولهم: الصفات الذاتية والجسمانيات (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٢).

وحجم نهج‌البلاغة والتطويل في كلام الإمام عليه السلام، حيث قال بعض المشككين في نهج‌البلاغة إن هذا الكلام الوارد فيه كثير لم تكن حياة الإمام عليه السلام تتسع لأن يقوله ولم تكن ظروفه السياسية والدينية تُمكّنه من النطق بهذا القول، ولم يبلغ كلام الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه مجتمعاً نصفَ كلام الإمام عليه السلام (الحوفي، ١٩٧٧م: ٤٢). وتكرار المقاطع الطويلة والقصيرة، حيث إن في خطب نهج‌البلاغة مقاطع طويلة وقصيرة تُروى على وجهين مختلفين

يتفقان في المعنى، ولكن يختلفان في اللفظ (إبراهيم السيد، ١٩٨٦م: ٢٧). واستعمال الطريقة العددية والتقاسيم المتوازية، وهو أن فيه استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل وفي تقسيمات الفضائل والرذائل. وهذا الاستعمال في الشروح، وتقسيم الفضائل أو الرذائل على أسلوبها، لا نراه في الآداب الجاهلية، بل لا نكاد نعرفه في الأدب الإسلامي إلا بعد ظهور كتاب «كليلة ودمنة» المعرّب.

وإذا علمنا أنّ إدخال الأعداد في الحكمة الأخلاقية، وفي ترتيب المجرّدات والمعقولات، له الدور المهم في المذاهب المتشعّبة عن الطريقة الفيثاغورية أو الأفلاطونية الحديثة، وإذا علمنا أن العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة إلا بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الأول، وإذا علمنا أنّ الشريف الرضي كان من الحكماء الأجّلاء، والعلماء المعروفين، وأنه عاش في العصر العباسي الثالث، ساغ لنا هذا الشك (الحسيني الجلالي، ٢٠٠١م: ٥٤). هذا وإن كان البحث العلمي يفترض أن يكون حيادياً وبعيداً عن التزمت.

ج) الشبهات المعنوية (في المضمون)

يمكن إجمال أهم الشبهات المعنوية فيما يلي: ادعاء المعرفة بالمغيّبات والإخبار بالغيب، حيث إن في عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب، وهذا أمر يجلّ عن مثله مقام علي عليه السلام ومن كان على شاكلة علي عليه السلام ممن حضر عهد الرسالة، ورأى نور النبوة (عبده، دون تا: هـ). والأفكار السامية والحكم الدقيقة وظهور الروح الصوفي الفلسفي، وهو ماورد في نهج‌البلاغة من الأفكار السامية والحكم الدقيقة ما لايصح نسبتُهُ إلى عصر الإمام عليه السلام وظهور الروح الصوفي الفلسفي في كثير من خطبه مما لم يفش في المسلمين إلا في القرن الرابع الهجري، وكذلك أسلوب علم الكلام بما وضع له من مصطلحات بادياً، مما لم يعرف عنه إلا في العصر العباسي، حيث تقدمت هذه العلوم فوُضعت أصولها وفُرّعت فروعها، وهذا يظهر في بعض خطبه ظهوراً بارزاً كما في خطبة بدء الخلق (إبراهيم السيد، ١٩٨٦م: ٢٤). ومافيه من الحث على الزهد وذكر الموت، وهو ما في نهج البلاغة من الحث على الزهد، وذكر الموت، وقرض الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٣).

مما لا شك فيه بأنّ تناول الشبهات المذكورة والإجابة عنها يحتاج كلّ منها إلى مقالة على حدة ومستقلة. ففي هذا المجال يتناول الباحث شبهة السجع وتنميق الكلام في نهج البلاغة والردّ عليها.

د) الشبهات المذهبية

يمكن إجمال أهم الشبهات المذهبية فيما يلي:التعريض بالصحابة وهو أنّ في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله ﷺ ما لايُسلَّم أن يصحّ صدوره عن مثل الإمام علي عليه السلام (إبراهيم السيد، ١٩٨٦م: ٢٠).

إن مظاهر التشيع المذهبي والتعصب الشيعي، وهو أن ما في الكتاب من خطب كثيرة ورسائل متعددة قد اختلقه الشريف الرضي لأغراض مذهبية شيعية (بلبع، ١٩٥٤م: ٩٢) وأن التشيع رُبّما قد زيّن له قبول هذا النتاج الوفير، وتدوينه دون تمحيص، وقد سرّه أن ينسب لجده الإمام عليه السلام هذا الميراث الضخم من عيون الآثار والحكمة، مع أنه لو نظر لتردد، وللكشف أن بعضاً مما أضيف إلى أميرالمؤمنين عليه السلام لايشرّفه أن ينسب إليه، ولا يزيد في قدره أن يكون من قوله (بلبع، ١٩٥٤م: ٢٨). وذكر الوصي والوصاية وهو ما في نهج‌البلاغة من ذكر الوصي والوصاية (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥هـ: ١١٢).

**نظرة عابرة إلى الأسلوبية الغربية**

بدأت الأسلوبية كنظرية أدبية من علم اللغة، رغم أن علماء اللغة كانوا قد أصروا على الابتعاد بعلمهم عن ميدان النقد الأدبي، ولكنهم عادوا إليه ليستخدموا أدواتهم ومناهجهم اللغوية في تناول النص الأدبي، وهو ما يعد الآن بالنظرية الأسلوبية التي تضع علم الأسلوب بين يدي الناقد كخطوة أولى لتساعده على فهم العمل الأدبي فهماً موضوعياً بقدر الإمكان، وذلك من خلال المادة اللغوية المصنفة تصنيفاً علمياً، والتي يعتمد عليها العمل اعتماداً كلياً في صياغته وتشكيله واكتسابه شخصيته المتميزة. ذلك أن الأسلوبية تطبق مناهج البحث اللغوي على النصّ الأدبي، خاصة فيما يعرف بمستويات التحليل، كما أنها تفرق بين اللغة العادية التلقائية التي لا تصدر عن وعي أو اختيار، وبين الكتابة الأدبية التي هي بمثابة لغة فردية خاصة تصدر عن اختيار واع، وبذلك لا تخضع لمقاييس اللغة العادية التي تقدم العناصر العامة في لغة الناس (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٣).

من أهم الأهداف والوظائف التي تركز عليها النظرية الأسلوبية، دراستها للغة الأديب كما يمثّلها إنتاجه الأدبي، وذلك بإخضاعها لمناهج من التحليل بهدف الوصول إلى معايير موضوعية تساعد الناقد على التفسير من خلال ثلاث توجهات في التحليل اللغوي للنص. والتوجه الأول سايكولوجي وينطلق من مقولة بيفون (الأسلوب هو الرجل)، ويؤمن بأن دراسة

الأسلوب لا تكون صحيحة إلا عندما تدل على الخصائص النفسية التي تميز الأديب. وكان عالم النفس واللغة النمساوي ليو سيبتزر قد قام بتطبيق آراء فرويد في التحليل النفسي على عدد من الأدباء، من خلال منهج ابتكره وأسماه (الدائرة الفيلولوية) (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٤).

يحدد سيبتزر ثلاث مراحل في عملية التحليل الأسلوبيّ في المرحلة الأولى، يواصل الناقد قراءة العمل الفني بهدف التوحد مع عالمه وجوه حتى يلتقط خاصية أسلوبية تعدّ سمة أساسية فنية، وفي المرحلة الثانية عليه أن يبحث عن تفسير سيكولوجي لهذه الخاصية وفي الثالثة يشرع في البحث عن الدلالات الأخرى التي يمكن تفسيرها في ضوء هذا الدافع النفسي.

وبحكم أن النظرية الأسلوبية ليست أدبية فحسب بل لغوية أساساً، فإنها تتعرض بالدرس للنصوص الأدبية وغير الأدبية ولم تكن الأسلوبية في بدايتها سوى منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية بل ولا يزال هناك من النقاد والباحثين الذين يعتبرونها مجرد وصف لغوي لهذه النصوص باعتبارها فرعاً من فروع علم اللغة العامّ، فيعرّفها ميشيل أريفي بأنها وصف النص الأدبي بناء على مناهج مأخوذة من علم اللغة، كما يعرفها ريفاتير بأنها منهج لغوي في الأساس، وذلك على أساس أن النص الأدبي نص لغوي لا يمكن إدراك كنهه أو سبر أغوار دون تحليل العلاقات الدولية التي ينطوي عليها كما لا يمكن النَّفاذ إلى قيمة العمل الأدبي إلا من خلال النص ذاته، إن هذا التحليل يؤدي إلى تفهم الشحنة الدلالية والشعورية الكامنة في النص، من خلال السعي لبلوغ أقصى درجة من الانظباط الموضوعي (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٧).

يقسم «بييرجيرو Pierre Guiraud الفرنسي» الأسلوبية المعاصرة إلى اتجاهين عامين كبيرين متعارضين هما:

أ) الأسلوبية التقليدية ورائدها ميشيل بالي

ب) الأسلوبية الجديدة ورائدها جاكبسون

ولكن «بول دوهتري» يقترح تقسيم الأسلوبية المعاصرة تقسيماً آخرمغايراً لتقسيم «بييرجيرو» حيث إنه يقسمها إلى مدرستين هما:

أ) المدرسة الفرنسية: يمثلها «شارل بالي» ومن أتى بعده

ب) المدرسة الألمانية: ويمثلها «كارل فوسلر، Karl Vassler» و«ليوسبيتزر» وغيرهما.

تختلف الأسلوبيتان التقليدية والجديدة في طريقة البحث عن الأسلوب. فبينما تبحث

الأسلوبية التقليدية عن الأسلوب وعن تحديده من خلال الخواص الأسلوبية للرمز أو «الشيفرة»، فإن الأسلوبية الجديدة تبحث عن الأسلوب من خلال وصف البنى الداخلية للنصّ أو الرسالة.

أسلوبية «شارل بالي»

«شارل بالي، Charles Bally» (١٨٦٥-١٩٧٤م) هو رائد المدرسة الفرنسية وأول مؤسس لعلم الأسلوب والأسلوبية في العصرالحديث على أساس آراء الدراسين (فضل، ١٩٩٨م: ١٨). وهو اللسانيّ البنيوي وتلميذ «فرديناندي سوسير» ومن أهم تأليفاته: «مصنف الأسلوبية الفرنسية»، «اللغة والحياة»، «اللسانيات العامة» و«اللسانيات الفرنسية». لقد نقل «بالي» درس الأسلوب من الصورة البلاغية إلى ميدان مستقل جديد أصبح يُعرف بميدان «الأسلوبية» أو دراسة الأسلوب. ومن دراسات «بالي» استفادت جميع الدراسات التي تلتها، سواء أكان ذلك في المنهج أو في الموضوع، ثم تعدّدت مدارس الأسلوبية في الغرب بعد ذلك.

يناقش بالي الأسلوب من حيث خصائص التعبير اللغوي، ومن حيث أثرهذه الخصائص على «الحساسية». فهو لايأخذ من تلك الخصائص إلا تلك التي تحمل محتوى «عاطفي». ويحصر بالي نظريته في الأسلوبية في التعبير المنطوق وليس في حدث التفكير. ثم يضع الأسلوبية خارج دائرة اللسانيات أو الدرس اللساني للنصّ الأدبي. فالأسلوبية عنده تبحث عن معنى العبارة، وعن سماتها الوجدانية، وعن موقعها في النسق التعبيري، والطرق التي تعطي العبارة صورتها. (عياشي، دون تا: ٢٠-٢١)

أسلوبية «سبيتزر» أو الأسلوبية الفردية أوالمثالية

يمثل منهج «اسبيتزر» أهم اتجاهات التحليل الأسلوبي الذي يعتمد على التذوق الشخصي،لكنه يحرص على أن يعكس المثيرات التي تصل من النص إلى القارئ ، ويحاول أن يحدّد نظام التحليل على هذا الأساس، لهذا يطلق عليه اسم «منهج الدائرة الفيلولوجية» ويتم تطبيقه على مراحل متعددة، فالقارئ مضطرّ لأن يطالع النص ويتأمله حتى يستلفت نظره شيءٌ في لغته وهذا الشيء يعد خاصية يتم التوصل إليها بالحدس، إذ يهدينا إلى أهميتها الأسلوبية في النص، ثم يتم اختبارها مرة أخرى بشكل منتظم من خلال قراءة جديدة تدعمها شواهد أسلوبية أخرى، فالدائرة إذن مكونة من ملاحظة منعزلة يكمن فيها سر الأسلوب، وهى تمثل روح العمل الأدبي في شموليته،على افتراض أن هذه الظاهرة لابد أن تدعمها ملامح أسلوبية أخرى في النص ذاته. (فضل، ١٩٩٨م: ٥٩)

أسلوبية جاكبسون

«رومان جاكبسون Roman Jacobson» (١٨٩٦-١٩٨٢م) ولد في مسكو، وكان قد تلقى علومه الأولى في مدرسة لازاريف، روعني منذ صغره بتعلّم اللغتين الألمانية والفرنسية، وفي الخامسة عشرة من عمره بدأ نظم الشعر، وفي سنة١٩٢٠ انتقل من موسكو إلى براغ. وفي هذه المدينة حقق حلمه بأن أنشأ مع جماعةمن اللغويين حلقة لغوية هي حلقة براغ (١٩٢٦) ولم يطل استقرارجاكبسون في تشيكوسلوفاكيا، فعندما احتلها النازيون سنة ١٩٤٠ وجد نفسه يشدّ الرحال متوجهاً إلى الولايات المتحدة، وفي نيويورك التقى عدداً من اللغويين، وأسس معهم حلقة نيويورك الألسنية. وعندما توفي سنة ١٩٨٢ ترك عدداً غيرقليل من المؤلفات من بينها كتابه: «قضايا الشعرية» (خليل، ١٩٩٧م: ١٨٠)، ومقالته المشهورة «الألسنية والشعر». ففي رأيه إن علم اللغة ينبغي أن يتناول الوظائف التي تؤديها اللغة جميعاً بمافيها الوظيفة التعبيرية الشعرية.وإذا كان النقد الأدبي شُغل على الدوام بالحكم على الأعمال الأدبية من شعرية ونثرية، فإن اللسانيات بتناولها لماتتصف به اللغة الشعرية من صفات تسعى إلى شيء آخر، هو فهم طبيعة اللغة وأدائها لوظيفتها بدرجة أكبر ولهذا فإن جاكبسون يؤكد الفرق بين النقد الأدبي الذي عماده الحكم،والتحليل الأسلوبي الذي عماده الوصف. والإصرار على عزل الشعرية عن الألسنية شيء لايسوغ إلا إذا قلّص ميدان الألسنية كثيراً. كأن يرى بعض الألسينين في الجملة أعلى بناء قابل للتحليل أوأن تكون دائرة التحليل الألسني محصورة في قضايا النحو (إبراهيم، ١٩٩٧م:٤١).

الأسلوبية المقارنة

من أهم رواد هذا النوع من الأسلوبية «إدوارد وشلر Edvard Wochler» وليوسبيتزر و«كارل فوسلر Karl Vossler». إنّ هذه الأسلوبية تدرس أساليب الكلام في مستوى معين من أساليب اللغة الواحدة لتبين خصائص كل أسلوب عن طريق مقارنة بعضها ببعض، لتقدير دور كل أسلوب في بناء الجمال الفني. ولابد من حضور نصّين مختلفين أو أكثرمع اشتراكهما في الموضوع أو الغرض لمؤلف واحد أو لأكثر، أو دراسة نصّين أو أكثر لمؤلف واحد مع اختلاف الموضوع أو الجنس الأدبي، ومقارنة الأساليب المختلفة في ذلك. (النحوي، ١٤١٩هـ: ١٧٦)

الأسلوبية الإحصائية (بوزيمان)

إن البُعد الاحصائي في دراسة الأسلوب هومن معايير الموضوعية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها.

أمّا الأسلوبية الإحصائية فتهتم بتتبع السمات الأسلوبية ومعدل تواترها وتكرارها في النص، وأول من اقترحها وطبقّها على نصوص الأدب الآلماني هو أ. بوزيمان[1] (نشر دراسة في الموضوع عام ١٩٢٥م) وتعتمد نظريته على معادلة سمّيت باسمه وهو اتجاه يقوم على دراسة ذات طرفين، أولهما: هو التعبير بالحدث[2]، والثاني هوالتعبير بالوصف[3] وهو يعني بالأول الكلمات أو الجمل التي تعبّرعن حدث وبالتالي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أوتصنّف هذا الشيء.وبحسب هذا الاتجاه يتم احتساب عدد التراكيب التي تنتمي إلى النوع الأول واحتساب عدد التراكيب المنتمية إلى النوع الثاني ( $\frac{\text{قضايا الحدث}}{\text{قضايا الوصف}}$ ).

يعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد أو تنقص تبعاً لزيادة أونقص عددكلمات المجموعة الأولى عن المجموعة الثانية. وقد تُستخدم هذه القيمة العددية للدلالة على أدبية الأسلوب. أو للتفريق بين أسلوب كاتب وكاتب. ثمّ عدّلوا هذه النسبة لتبسيطها، وذلك باستخدام عدد الأفعال بدلاً من قضايا الحدث، وعدد الصفات بدلاً من قضايا الوصف وتصبح المعادلة نسبة الفعل إلى الصفة = $\frac{\text{عدد الأفعال}}{\text{عدد الصفات}}$ وتسمى بالإنجليزية اختصاراً . Verb Adjective .Ratio ويرمزلها ( V.A.R ). وضع سعد مصلوح مقابلاً لهذا الرمز (ن. ف. ص) أي الأحرف الأولى من عبارة نسبة الفعل إلى الصفة ( $\frac{\text{ف}}{\text{ص}}$ )(مصلوح، ١٩٨٤م: ٥٩-٦٩).

فإذن إنّ الطريقة الإجرائية في هذاالنوع من الدراسة الأسلوبية تعتمد على استخدام البطاقات،وتفريغ عيّنات من النص، وإحصاء الصفات والأفعال،بيد أنّ تطبيق هذه الطريقة لا يخلو من مشكلات، فقد اتضح لكثيرين أن بعض الاستعمالات اللغوية الشائعة لايتضح فيها الفرق بين التعبير بالحدث أو التعبير بالوصف.

إن في اللغة العربية بعض الصيغ الصرفية التي تُشبِه الفعل وتتضمن في الوقت نفسه معنى التعبير بالوصف. وهذه المشكلة ــ في الحقيقة ــ تقلّل من دقة النتائج إلا إذا قمنا بإجراء تعديلات على طريقة بوزيمان بحيث نضع في حسابنا ما في عربيّتنا من أفعال ناقصة، وأخرى جامدة، وأفعال شروع ومقاربة وغيرها لاستبعادها من الدراسة[1]. وباستعراض بعض النتائج

1. A.Busemann
2. Active
3. Qualitive

التي توصَّل إليها الأسلوبيون تتضح لنا الفكرة بصورة أدق. ففي كتاب الأيام لطه حسين تبيّن مثلاً أن نسبة الجمل الفعلية إلى الوصفية ٣٩٪ في حين أن نسبة تكرار هذه الجمل في كتاب حياة قلم للعقّاد لا تتعدّى ١٨٪ ومعنى ذلك أن كتاب الأيام أقرب إلى الأسلوب الانفعالي والحركي من كتاب العقاد الذي يميل فيه إلى الطابع الذهني والعقلاني.

أما الشيء الثاني الذي يُستنتج من هذه الإحصائية هو أن أسلوب الأيام أكثرحساسية واستجابة لتنوّع الموضوع في حين تبدوالصفات الشخصية للمؤلف هي التي تحتل مركز الاهتمام في «حياةقلم» مما يُضعِف أثر التغيير والحركة فيه.وفي ضوء هذه الأرقام نستطيع القول: إن ارتفاع نسبة الفعل إلى الصفة تمثّل فارقاً أسلوبياً يميّز أسلوب طه حسين عن أسلوب العقّاد الذي تقلّ فيه هذه النسبة (إبراهيم، ٢٠٠٢م: ١٤٦). ويلخّص الأستاذ مصلوح فوائد الدراسة الإحصائية للأسلوب في نواح متعدِّدة نوجزها بما يلي:

١. اختيار العيّنات بحيث تكون ممثلة للمجتمع.

٢. قياس كثافة الخصائص الأسلوبية عند منشأ معين أو عمل معين.

٣. قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وخاصة أخرى للمقارنة.

٤. قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معيّنة.

٥. التعرّف على النزعات المركزية في النصوص التي تدل على استخدام مركزي للفظة أو نوع من الجمل (مصلوح، ١٩٨٤م: ٥١).

وعلى الرغم مما سبق، ليس هناك اتفاق تام وشامل بين منظري الأسلوبية في التحليل على أساس قواعد وحدود معينة، بل هناك ذوبان في الحدود والقيود، وإن انفتاح النص وتعدد معانيه من الخواص المميزة للتحليل الأسلوبي وهما ركيزتان رئيستان في تحليل النص، تأسيساً على هذا ننتقل إلى دراسة الخطبة وفقاً للأسلوبية المقارنة.

### دراسة الخطبة «الشقشقية» باستخدام الأسلوبية المقارنة وأسلوبية بوزيمان

مما لا شك فيه أنه يتجلى سرّ الشك في نهج البلاغة كما يقول الشهرستاني (الشهرستاني، ١٣٥٢هـ: ١٣)، في الخطبة «الشقشقية» التي طرحت الآراء المشككة في صحة نسبتها إلى الإمام علي عليه السلام والتي فيها تعريض ببعض الصحابة كما يدعي بعض المشككين بالنسبة إليها. وهناك خطب أخرى في نهج البلاغة مقبولة عند المشككين كخطبة همام ونظائرها. وفيمايلي حاول

الباحث أن يستخدم الأسلوبية المقارنة والأسلوبية بوزيمان لكي يقارن بين خطبتي الشقشقية وهمام وبعض الخطب الأخرى[١] المقبولة عند المشككين مطابقاً للجدول التالي:

جدول رقم (١) المقارنة بين الخطبة الشقشقية وغيرها على أساس أسلوبية بوزيمان

| رقم الخطبة | نسبة بوزيمان | عدد الأفعال بالمائة | عدد الصفات بالمائة |
|---|---|---|---|
| ٣ (الشقشقية ) | $\frac{٧٧}{١٣}$ | ٪٨٥/٥ | ٪١٤/٤ |
| ١٩٣ (همّام ) | $\frac{١٠٠}{٤٠}$ | ٪٧١/٤ | ٪٢٨/٥ |
| ٦ | $\frac{٥}{٢}$ | ٪٧١/٤ | ٪٢٨/٥ |
| ٨٤ | $\frac{٢٢}{٧}$ | ٪٧٥/٨ | ٪٢٤/١ |
| ٨٦ | $\frac{٤٦}{١٧}$ | ٪٧٣ | ٪٢٧ |
| ٩٣ | $\frac{١٤}{٥}$ | ٪٧٣/٧ | ٪٢٦/٣ |
| ٩٤ | $\frac{٢٦}{١٣}$ | ٪٦٦/٧ | ٪٣٣/٣ |
| ٩٨ | $\frac{١٥}{٤}$ | ٪٧٨/٩ | ٪٢١/١ |
| ١٠٠ | $\frac{٣٢}{٩}$ | ٪٧٨/١ | ٪٢٢ |
| ١٠٧ | $\frac{١٢}{٤}$ | ٪٧٥ | ٪٢٥ |
| ١٢٣ | $\frac{١٤}{٤}$ | ٪٧٧/٨ | ٪٢٢/٢ |
| ١٣٥ | $\frac{٦}{٣}$ | ٪٦٦/٧ | ٪٣٣/٣ |
| ١٣٩ | $\frac{٦}{}$ | ٪٧٥ | ٪٢٥ |

١. تمّ اختيار خطبة «همّام» بسبب تطابق حجمها مع الخطبة «الشقشقية» وقبولها عند المشككين وأمّا اختيار بعض الخطب الأخرى، فمردّه إلى أمرين: أولهما مقبوليتها عند المشككين والثاني للحصول على نتيجة أكثر عمقاً، وذلك بتوسيع دائرة الإحصاء.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | ٢ | | |
| ١٨٤ | $\frac{٥}{٢}$ | ٧١/٤٪ | ٢٨/٦٪ |
| ٢٠٣ | $\frac{١٣}{٤}$ | ٧٦/٥٪ | ٢٣/٥٪ |
| ٢٠٦ | $\frac{١١}{٣}$ | ٧٨/٦٪ | ٢١/٤٪ |
| ٢٠٧ | $\frac{٥}{٢}$ | ٧١/٤٪ | ٢٨/٦٪ |

تحليل الإحصاء: من أبرز توجهات سيبتزر، هو توجه إحصائي يسعى إلى رصد درجة تكرار ظاهرة لغوية معينة في أسلوب شخص معين رصدا علميا دقيقاً، ينأى عن الملاحظة العابرة ويرفض تجزئة الإحساس الصادر عن التقاط الظَّواهر.

هنا تتقصى النظرية الأسلوبية تطبيق علم الإحصاء واستخدام الجداول الإحصائية والأرقام. وقد هاجم كثير من النقاد هذا التوجّه الذي يستعمل لغة غريبة غير تلك التي ألفوها في تناول العمل الأدبي، لأنها تجعل من المنهج النقدي نوعاً من (جرد العهدة)، ذلك أن الإحصاء يقتضي جهداً كبيراً قد يكون غير مطلوب في كثير من الأحيان كما أن سيطرة العمل الإحصائي على العملية النقذية تؤدِّي إلى سيطرة الكمّ على الكيف مما يفقد دراسة الأسلوب هدفها الجمالي الأساسي.

وقد يوهم الانبهار بالأرقام بدقة المنهج وأصالته العلمية، لكنها يمكن أن تكون مخادعة عند تذوّق الأعمال الأدبية التي تمتلك في داخلها روحاً جماليةً لا يمكن رصدها بالحاسبات، كما أنّ كثيراً من الظواهر يتداخل في بعضها البعض تداخلاً عضوياً بحيث يصبح من العبث إحصاء واحدة منها منفردةً في حدّ ذاتها؛ إذ إن الدِّقة الإحصائية عديمة الجدوى في الإمساك ببعض المسائل الغامضة أو النسبية أو المراوغة مثل المشاعر التي يثيرها العمل الأدبي وجوِّه العام المشحون بالنغمات الانفعالية والإيقاعات الخافتة أو الصاخبة (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٤).

ولا يعني هذا أن العملية الإحصائية عديمة الجدوى تماماً. فالتحليل الإحصائي يمكن أن ينهض بتوثيق النصوص الأدبية، عند محاولة نسبة أعمال معينة إلى مؤلِّف معين، ويمكن أن يساهم في فهم التطور التاريخي لكتاباته، ورصد النصوص الأخرى التي دخلت أو تسرَّبت إلى نصوصه، ودراسة دلالات ورود ظاهرة معينة مرّة واحدة أو خمسين مرّة أو ثلاثمائة مرة

في أعماله، والكشف عن مقاييس أو معايير محددة في توزيع العناصر الأسلوبية عند مؤلِّف معين بحيث يمكن أن يفتح آفاقاً تفيد في التفسير الجمالي (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٤).

بالمداقة في الجدول السابق نحصل على نتائج منها:

١. نسبة تكرار الجمل الفعلية بين خطبتي «الشقشقية» و«همّام» وسائر الخطب المحاسبة في الإحصاء تتراوح على التقريب بين ٦٧٪ إلى ٨٥٪ وهذا يدل على غالبية الأسلوب الحركي والانفعالي في جميع هذه الخطب.

٢. نسبة تكرار الصفات المستعملة في الخطب المذكورة تتراوح بين ١٤٪ إلى ٣٣٪ وهذا يدل على أن الطابع الذهني في الخطب المذكورة أقلّ بكثير من الأسلوب الحركي والانفعالي.

٣. والنتيجة الأصلية المأخودة من هذه المقارنة هي أن عدد الأفعال بالمائة في جميع الخطب أكثر بالنسبة إلى عدد الصفات بالمائة فيها. وهذا يعني أن أسلوب صاحب الخطبة «الشقشقية» هو أسلوب صاحب سائر الخطب المذكورة على أساس أسلوبية بوزيمان.

**القواسم المشتركة بين الخطبة «الشقشقية» والخطب المقبولة عند المشككين في نهج البلاغة**

بالمقارنة بين الخطبة «الشقشقية» والكثير من الخطب المقبولة عند مثيري الشك فيها نجد أسلوباً مشتركاً فيما بينها، نذكر منها مايلي:

قِصَرُ الجمل والعبارات

من الميزات البارزة في خطب الإمام عليه السلام ورسائله هي قِصر الجمل والعبارات. وهذه الميزة تعتبر من الخصائص المشهودة في أسلوب الإمام عليه السلام في المقاطع المختلفة.

ونظرة منّا إلى العبارات التالية في الخطبة «الشقشقية» ومقارنتها بسائر كلامه عليه السلام الذي سيرد فيما بعد تكفي لإثبات أن هذه الأقوال جميعاً صدرت من شخص واحد:

(... يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ/ ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْر/ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبا/ وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحا/ وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ/ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ/ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ/ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ/ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ/ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ/ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى/ فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى/ وفِي الْحَلْقِ شَجًا...) (نهج البلاغة، الخطبة ٣).

من توجهات منهج سيبتزر هو أنه توجه وظيفي يحتم تحليل العمل الأدبي على أساس السياق الكامل وليس على مستويات جزئية. فهناك وحدة أسلوبية للعمل لابدَّ أن تتجلّى فيه إذا كان ناضجا،

إذ إن كل كلمة عبارة عن جزء في جملة وكلّ جملة جزء في فقرة، وكلّ فقرة جزء في موضوع. وعلى الناقد أن يحلل وظيفة كلّ هذه الأجزاء في سياق العمل الأدبي وهذا السياق ليس قاصراً على عمل واحد، بل يمكن أن يمتدّ من مجرّد دراسة نقدية لقصيدة واحدة إلى ديوان بأكمله أو أعمال أدبية في فترة زمنية معينة، أو الأعمال الكاملة لأديب واحد، أو جنس أدبي برمته، بل ويمكن تحليل الخصائص الأسلوبية لثقافة بأكملها، وقد عانى هذا التوجه من تكرار الإجراءات نفسها عند تصنيف الظواهر الأسلوبية لرصد مدى انتظامها في سياق معين (راغب، ٢٠٠٣م: ٣٤).

ويقول عليه السلام في الخطبة نفسها:

(... فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ/ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا/ فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ/ يَغْلُظُ كَلْمُهَا/ وَيَخْشُنُ مَسُّهَا/ وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا/ وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا...) (نهج البلاغة، الخطبة ٣).

ويقول الإمام عليه السلام في خطبة «همّام» مستعملاً هذا الأسلوب:

(فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى/ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ/ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ/ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ/ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ/ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ/ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ/ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ/ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ/ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ/ وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ/ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ/ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ/ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ/ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ/ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ/ ... فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ/ ... يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهُوَ عَلَى وَجَلٍ/ يُمْسِي وهَمُّهُ الشُّكْرُ/ ويُصْبِحُ وهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً ويُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ والرَّحْمَةِ...) (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣).

كما يكتب عليه السلام في كتاب إلى سلمان الفارسي: (فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ/ لَيِّنٌ مَسُّهَا/ قَاتِلٌ سَمُّهَا/ فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا/ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا/ وضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا/ لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا...) (نهج البلاغة، الكتاب ٦٨).

أو في كتاب إلى عماله على الخراج يقول عليه السلام: (... وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ/ وأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ/ ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ/ ... فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ/ واصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ/ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ/ ووُكَلَاءُ الْأُمَّةِ/ وسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ/ ولَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ/ ولَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ) (نهج البلاغة، الكتاب ٥١).

مما سبق يرى الباحث أن هناك تشابهاً كبيراً بين عبارات الإمام عليه السلام في الخطبة «الشقشقية» وخطبة «همّام» مما يجعل قارئ كلام الإمام عليه السلام لايستطيع أن يشك في صحة نسبتها إليه.

الاستشهاد بالقرآن الكريم

من المعروف أن القرآن الكريم قد بهر العرب بأسلوبه الفنية المعجز وقيمه الفكرية والتشريعية السامية، فأكبوا على مدارسته وحفظه والعناية به عناية لم يحظ بها أثر فكري أو أدبي على الإطلاق. وصارت الثقافة الإسلامية عموماً وعلى توالي العصور تعتمد القرآن مصدراً تدور حوله الأبحاث الفقهية واللغوية والفكرية (شرّاد، ٢٠١٠م: ٧). استشهد الإمام عليه السلام في الخطبة «الشقشقية» بالآية القرآنية بعد أن يقسّم معارضيه بعد البيعة إذ يقول:

... فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى وقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص/٨٣).

بَلَى واللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا، ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا (نهج البلاغة، الخطبة ٣).

ونرى كثيراً ما استشهد الإمام عليه السلام بالقرآن الكريم في خطبه، إذ كان يحفظه ويتذوقه ويجيد الاستشهاد في الموضع الملائم. فيما يلي نجيء بالخطب والرسائل المستشهد فيها بالآيات القرآنية:

جدول رقم(٢) الخطب والرسائل المستشهد فيها بالآيات القرآنية

| الخطب المستشهد فيها بالآيات القرآنية | الرسائل المستشهد فيها بالآيات القرآنية | جمع الآيات في نهج البلاغة |
|---|---|---|
| ١-٣-١٨-٢٨-٣٩-٥٨-٦٦-٧١-٨٥-٨٧-٩١-١٠٩-١١١-١١٤-١١٥-١٢٠-١٢٨-١٢٩-١٤٣-١٤٤-١٥٤-١٥٦-١٦٠-١٦٢-١٦٣-١٧٦-١٧٧-١٨١-١٨٣-١٨٥-١٨٦-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٥-١٩٩-٢٠١-٢١١-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٥-٢٢٦ | ٣-١٦- ٢٣-٢٨-٤١-٤٥-٥٣-٥٥-٦٧-٧٤-٩٣-٩٦-٩٩-١٣٠-١٣٥-٢٠٤-٢٠٩-٢٢٩-٢٣١-٣٤٣-٣٤٤-٣٧٧-٤٣٩-٤٦٨ | ١٠٩ |

كما يبدو من الجدول السابق أن الإمام عليه السلام استشهد في خطبه ورسائله بكثير من الآيات القرآنية، وهذا الاستشهاد يعتبر قاسماً مشترك بين خطبة «الشقشقية» والخطب المذكورة التي لايشك أحدٌ في صحة نسبتها إلى الإمام عليه السلام.

الاقتباس من الآيات القرآنية

إن الاقتباس ضرب من الصناعة البلاغية يضمن فيه الشاعر أو الناثر كلامه شيئاً من القرآن أو الحديث، وقد عدّه البلاغيون ضرباً من البديع بوصفهم إياه واحداً من المحسّنات البلاغية التي يعنى بها (البدري، ١٩٨٩م: ٨). ومن أنواع الاقتباس: الاقتباس النصي وهو الالتزام بلفظ النص القرآني وتركيبه. والاقتباس الإشاري، وهو ما أشير إليه من الآيات من غير الالتزام بلفظها وتركيبها (أو ما عرف فيه الإشارة إلى آية من الآيات القرآنية) (البدري، ١٩٨٩: ١٩-٢١، بتصرف).

مرّ آنفاً أنّ الإمام عليه السلام استشهد بالآيات القرآنية، وهذا غيرما اقتبسه من الآيات الكريمة، فهي كثيرة جداً في خطبه ورسائله وحكمه نشير إلى نماذج منها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، ولَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ... فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، ووَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه (نهج البلاغة، الخطبة ١).

فإنّ قوله عليه السلام: ولَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، من قوله تعالى: ﴿**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (إبراهيم /٣٤) وقوله عليه السلام فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، من قوله سبحانه: ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾ (الشعراء /٢٤) وقوله عليه السلام: ونَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، من قوله تعالى: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً**﴾ (الفرقان /٢٤)، وقوله عليه السلام:

وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه، من قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ (النبأ/٦-٧) وقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (النحل/١٥).

إذن هناك نماذج كثيرة من الاقتباس في هذه الخطبة والتي توحي ببطلان الشكوك الواردة فيها.

الاستشهاد بالشعر

لقد كان للشعر في حياة العرب مكانة تزيد على مكانته عند الأمم الأخرى في ما يظهر، فكان الشعر عند العرب ديوان مفاخرهم وسجل مآثرهم، بل كان بالنسبة إليهم فيما يبدو الأداة

الثقافية الكبرى، ولم يكن ـ كما هو حاله عند غيرهم من الأمم ـ محض فن يستخدم للتعبير عن المشاعر والانفعالات، ويقال للتسلية والمتعة والتسرية، بل يظهر للباحث في الحياة الجاهلية ـ بما يتهيأ له فيها من مادة البحث التاريخي ـ إن خلاصة الفكر والشعور قبل الإسلام قد مخضت فكان الشعر العربي في الجاهلية زبدتها وخلاصتها، حتى أنه ليستطيع أن يعده أثمن التراث التاريخي الذي خلفته تلك العصور. فقد تجمعت فيه تجارب الأمة منذ قديمها السحيق حتى طلعت عليها شمس الدعوة الإسلامية في القرن السادس (الجواري، ٢٠٠٦م: ٦٤-٦٥).

هناك وظيفتان أساسيتان للأدب والشعر خصوصياً، وهما المهمة النفعية: تعليميةً أو تربويةً أو ثقافية...، والمهمة الجمالية التي تحقق نوعاً من المتعة الشكلية المحضة. والحديث عن وظيفة الشعر عند النقاد العرب لا يخرج عن هاتين الوظيفتين في حيثياتها المختلفة، فكانت وظيفة الشعر قائمة على أساس مما يقدمه من معرفة وحكمة وما يدل عليه من مكارم الأخلاق ومآثر الأفعال فكان بمثابة البنية المعرفية التي يرجع إليه كلما دعت الحاجة (عبابنة، ٢٠١٠م: ٢٢٦-٢٢٧).

استشهد الإمام عليه السلام في الخطبة الشقشقية ببيت من شعر الأعشى وهو:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

(الشنقيطي، ٢٠٠٢م: ١٠٧)

فالشعر يقوم بوظيفة اجتماعية تربوية تهدف إلى تعديل سلوك المتلقي وتوجيهه نحو الفضيلة، وهذه النظرة ذات بعد واحد تنظر إلى الشعر من جانبه المعرفي من خلال مضمونه دون التركيز على أسلوبه وصياغته الفنية التي تجعل له مقدرة متميزة في نقل هذه المعرفة، وهي بذلك تغفل جانباً مهماً يتميز به الشعر عن أيّ نشاطٍ إنساني آخر يقدم مثل هذه المعرفة بأسلوب تجريدي يجعل منها عبئاً ثقيلاً على متلقيه (عبابنة، ٢٠١٠م: ٢٢٦-٢٢٧).

ونرى الاستشهادات الشعرية في الخطب الأخرى في مواقعها الملائمة. فمن أمثلة استشهاده بالشعر في موضع آخر عند ختام خطبته عند مسيره لقتال أهل البصرة بقوله عليه السلام:

وَاللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا، فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحاً ... وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلِيّاً وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا

(نهج البلاغة، الخطبة ٣٣)

إن الاستجابة المصاحبة للشعر، سواء كانت اللة أو المنفعة أو كلتيهما معا، هي استجابة وثيقة الصلة بأسلوبه من حيث مستويات النص اللغوية: صوتية ودلالية وتركيبية، ومفاد ذلك كله أن للأسلوب دوراً مميزاً بما يقدمه من اتساق وانتظام تقني ومعرفي بتواشج مكوناته شكلاً ومضموناً ضمن بنيته الكلية، وهذا الدور الأسلوبي أو ما يمكن أن نطلق عليه الأثر الأسلوبي الذي يرجع بالضرورة إلى مجموعة من الخواص والإجراءات الأسلوبية التي تستند إلى قيم جمالية وهي قيم مطلقة ما بعد تاريخية ليس إلا قوة تتموضع في النص وتأخذ فعاليتها لدى استهلاكه من القارئ. إن هذه الفعالية التي تظهر من خلال عملية التلقي والقراءة لا تعني أن هذا الأثر الأسلوبي محدود من جانب المتلقي فحسب، وإنما يقوم القارئ بالدور الفاعل للكشف عن هذا الأثر ما تعلق منه بالنص أو المتلقي أو المبدع من خلال تحاوره مع الأسلوب في النص (عبابنة، ٢٠١٠م: ٢٣٨).

من الأبيات التي نظمها الإمام عليه السلام وجاء في خطبته عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد استشهاد بقول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُ وإِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ
هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ ... فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

(نهج البلاغة، الخطبة ٢٥، لم يعثر الباحث على ناظمه)

وما جاء في قوله عليه السلام بعد خديعة التحكيم: وقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، ونَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ والْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ.

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

(نهج البلاغة، الخطبة ٣٥، من أشعار دُريد بن الصمة من الشعراء الجاهليين)

فإذن نرى أنّ الاستشهادات الشعرية من القواسم المشتركة بين «الشقشقية» والخطب الأخرى.

استعمال التشبيه والاستعارة الحسيين وذكر الحيوان فيهما

إن ما ينجم عن التركيب من خلق تراكيب لغوية مميزة قادرة على استثارة الخيال وبعث الفكر واستثارة الجوانب الوجدانية والعاطفية ويتم ذلك من خلال تراكيب لغوية خارجة عن الأصول

الوضعية للغة والاستخدامات العادية لها وقد عرفت هذه التراكيب عملياً في نقدنا القديم بالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وجمعت في نقدنا الحديث تحت مصطلح الصورة الفنية (عبابنة، ٢٠١٠م: ١١٧). فبالمداقة في الخطبة الشقشقية نجد فيها التشبيهات بالحيوانات كالضَبُع والإبل والجمل والغنم ونحوها التي يكثر مثلها في الخطب الأخرى المقبولة عند المشككين. فبالنظر إلى العبارات التالية في الشقشقية ومقارنتها في التشبيهات بالخطب الأخرى نحصل على أنّ أسلوب التشبيهات مشترك فيها جميعاً: يقول عليه السلام في كلامه مستخدماً الاستعارة: «لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا» وفي قوله عليه السلام: «فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم» يكرّر هذا التشبيه بالإبل. ونجد مثل هذا التشبيه في قوله عليه السلام: «يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ، خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ» ونجد يشبّه الناس بالضبُع في قوله عليه السلام:

«وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ». ونرى مرّةً أخرى هذا الأسلوب في قوله عليه السلام مستخدماً الاستعارة: «لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا» (نهج البلاغة، الخطبة ٣).

فيكفي القارئ مقارنة التشبيهات والاستعارات السابقة في قوله عليه السلام في خطبة أخرى لمّا أشير عليه بألا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ويَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا» (نهج البلاغة، الخطبة ٦) وقوله عليه السلام في رسالة إلى سلمان الفارسي قبل أن يتولى الخلافة: «فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا» فشبّه الدنيا بالحيّة (نهج البلاغة، الكتاب ٦٨). وقوله عليه السلام في استنفار الناس إلى قتال أهل الشام: «أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ... إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، ومِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ... مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ» (نهج البلاغة، الخطبة ٣٤)؛

كما أن دلالة الألفاظ الوضعية في الكناية تكاد تكون أقل تأثراً بالعلاقات اللغوية التي يفرضها النص، من منطق قبول الدلالات الوضعية فيها على الحقيقة دون أن يكون لذلك مدخلٌ في حيز المجاز ولكن قبول هذه الدلالات الوضعية رهينٌ بما يعقده المتكلم من قصد وغرض ينكشف من خلال النص، فيحتاج السامع إلى تأول ينتقل فيه من هذه الدلالات إلى

ملزومها ويكثر هذا التأثر في الاستعارة حيث يؤدي دخول اللفظة في النسق الاستعاري إلى إقامة علاقات جديدة غير معهودة، وخلق دلالات جديدة، وكذلك تغييب بعض دلالة الألفاظ الوضعية (عبابنة، ٢٠١٠: ١٣٧-١٣٨).

وقوله عليه السلام لأهل الكوفة: «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ، حُلُومَ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَاكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، لِلَّهِ أَبُوهُمْ هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمَ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِّينَ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٧).

وقوله عليه السلام لأهل الكوفة: «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٧).

فشبّههم في تفرقهم ونفارهم وضعفهم واضطرابهم وازدراء العدو بهم بالإبل التي غاب عنها رعاتها فلا هادي يهديها ولا جامع يلمّها ولاحارس يرعاها ولامالك يصونها.إن كثرة التشبيهات والاستعارات المتعلقة بالحيوان في أكثر الخطب والرسائل إن دلّت على شيء، فإنما تدلّ على أن المصدر الذي صدر منه هذا الكلام واحدٌ، وليس صادراً أن مصادر عدة كما زعم البعض من المشككين.

## النتائج

من خلال ما تقدم توصلنا إلى ما يلي:

١. إن شبهة التعريض بالصحابة في خطبة الشقشقية لنهج البلاغة أثار جدلاً عند بعض المشككين في صحة نسبة النهج إلى صاحبه عليه السلام، فقد حاول الباحث دراسة الموضوع من خلال الأسلوبية المقارنة، وسعى إلى الردّ على هذه الشبهة.

٢. إن البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، لكن الأسلوبية الإحصائية فتهتمّ بتتبع السمات الأسلوبية ومعدل تواترها وتكرارها في النص وفقاً لاتجاه «بوزيمان»، فقمنا بدراسة التعبير بالحدث، أي الكلمات والجمل التي تعبر عن حدث، ثم التعبير بالوصف، أي التعبير عن الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أو تصنِّف هذا الشيء.

٣. يفيد الجدول الإحصائي للمقارنة بين الخطبة الشقشقية و«همّام» على أساس أسلوبية بوزيمان، أنّ نسبة تكرار الجمل الفعلية بين خطبتي «الشقشقية» و«همّام» وسائر الخطب المحاسبة في الإحصاء تتراوح على التقريب بين ٦٧٪ إلى ٨٥٪ وهذا يدل على غالبية الأسلوب الحركي والانفعالي في جميع هذه الخطب، كما أن نسبة تكرار

الصفات المستعملة في الخطب المذكورة تتراوح بين ١٤٪ إلى ٣٣٪ وهذا يدل على أن الطابع الذهني في الخطب المذكورة أقلّ بكثير من الأسلوب الحركي والانفعالي، لكن النتيجة الأصلية المأخودة من هذه المقارنة هي أن عدد الأفعال بالمائة في جميع الخطب أكثر بالنسبة إلى عدد الصفات بالمائة فيها وهذا يعني أن أسلوب صاحب الخطبة «الشقشقية» هو أسلوب صاحب سائر الخطب المذكورة على أساس أسلوبية بوزيمان الإحصائية.

٤. إن أبرز القواسم المشتركة بين الخطبة «الشقشقية» والخطب المقبولة عند المشككين في نهج البلاغة قِصَرُ الجمل والعبارات

الاستشهاد بالقرآن الكريم والاقتباس من الآيات القرآنية والاستشهاد بالشعر واستعمال التشبيه والاستعارة الحسيين وذكر الحيوان فيهما.

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم

١. إبراهيم السيد، صبري (١٩٨٦م). نهج البلاغة: نسخة جديدة محققة وموثقة. تقديم العلامة عبدالسلام محمد هارون، الدوحة: دار الثقافة.

٢. أحمد سليمان، فتح الله (١٩٩١م). الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع.

٣. البدري، حكمت فرج (١٩٨٩). معجم آيات الاقتباس: صنع وترتيب. سلسلة كتب التراث، بغداد: دار الرشيد.

٤. بلبع، عبدالحكيم (١٩٥٤م). النثر الفني وأثر الجاحظ فيه. القاهرة: الأنجلو المصرية.

٥. الجواري، أحمد عبدالستار (٢٠٠٦). الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٦. الحسيني الجلالي، محمد حسين (١٣٨٠هـ). دراسة حول نهج البلاغة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٧. الحسيني الخطيب، عبد الزهراء (١٤٠٥هـ). مصادر نهج البلاغة وأسانيده. بيروت: دار الأضواء.

٨. الحوفي، أحمد محمد (٢٠٠٠م). بلاغة الإمام علي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٩. خليل، إبراهيم (١٩٩٧م). الأسلوبية ونظرية النص. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٠. خليل، إبراهيم (٢٠٠٢م). في النقد والنقد الألسني. عمان: عمان عاصمة للثقافة العربية.

١١. زكي صفوت، أحمد (١٩٣٢م). ترجمة علي بن أبي طالب. القاهرة: مطبعة العلوم.

١٢. شرّاد، شلتاغ عبود (٢٠١٠). أثر القرآن في الشعر العربي الحديث. الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

١٣. الشريفي، عبدالهادي (٢٠٠٥). نهج البلاغة، جمعه، مصادره، مناقشة التشكيك في نسبته إلى الإمام علي. فصلية المنهاج، العدد ٣٦.

١٤. شمس الدين، محمد مهدي (١٩٨١). دراسات في نهج البلاغة. ط ٣، القاهرة: الدار الإسلامية.
١٥. الشنقيطي، أحمد بن الأمين (٢٠٠٢م). شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٦. الشهرستاني، هبة الله (١٣٥٢هـ). ماهو نهج البلاغة. صيدا: مطبعة العرفان.
١٧. الطعمة، هادي سلمان (١٩٧٧). تأثير نهج البلاغة في الأدب العربي. مجلة العرفان، العدد ٦٥٧.
١٨. عبابنة، سامي محمد (٢٠١٠). التفكير الأسلوبي. ط ٢، الإربد: عالم الكتب الحديث.
١٩. عياشي، منذر (دون تا). مقالات في الأسلوبية. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
٢٠. فضل، صلاح (١٩٩٨م). علم الأسلوب، مبادئة وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق.
٢١. مجموعة كبير (١٣٨٧ش). نهج الفصاحة. ترجمة كاظم عابديني مطلق، ط ٥.
٢٢. المسدي، عبد السلام (دون تا). الأسلوب والأسلوبية. ط ٣، بيروت: الدار العربي للكتاب.
٢٣. المشكيني، علي (١٩٨٤م). الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة. طهران: مطبوعات وزارة الإرشاد.
٢٤. مصلوح، سعد (١٩٨٤م). الأسلوب دراسة إحصائية، القاهرة: دار الفكر العربي.
٢٥. نبيل، راغب (٢٠٠٣). موسوعة النظريات الأدبية. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.